مفهوم الاتساق
مايكل هاليداي ورقية حسن

أ.بلحوت شريفة

جامعة تيزي وزو

1.1 مفهوم الاتساق

1.1.1. النص

حين يسمع متكلّم بالإنجليزية مقطعا من اللغة يتجاوز الجملة الواحدة من حيث الطول أو يقرأه، يمكنه بصفة عادية ودون أية صعوبة الفصل فيما إذا كان هذا المقطع كلا موحَّدا أو هو مجرد مجموعة منجمل غير مترابطة. ويتناول هذا الكتاب الفاصل بين الحالتين.

تستخدم كلمة **نص** (text) في اللّسانيات للدّلالة على أي مقطع، مكتوبا كان أم منطوقا، ومهما كان طوله على أن يمثّل كلاّ موحَّدا. ونعلم كقاعدة عامة ما إذا كان أيّ نموذج من لغتنا الخاصة يشكل **نصّا أم لا**، وهذا لا يعني عدم وجود أيّ شكّ بتاتا. إن التمييز بين ما هو نص وما هو مجرّد مجموعة جمل غير مترابطة هو في نهاية الأمر نسبي، وتوجد دائما حالات لا يمكن التأكد فيها، وهذا ما قد يتبيّنه معظم المعلّمين من خلال قراءتهم لكتابات طلبتهم. ولكن هذا لا يلغي الملاحظة العامة وهي أننا نميّز بإحساسنا بين ما هو نص وما هو غير نص.

ويفترض هذا التمييز وجود عوامل موضوعية، فلا بد من وجود معالم معيّنة تُعتبر سمة في النصوص ولا توجد في غيرها. سنحاول التعرّف عليها قصد تحديد خصائص النصوص في الإنجليزية وما يميّز النّص عن متوالية جمل غير مترابطة.

وسنُناقش كما هو الأمر دائما في اللّسانيات الوصفية أشياء يعرفها متكلم اللغة الناشئ مسبقا لكن دون علمه بمعرفتها.

يمكن أن يكون النصّ منطوقا أو مكتوبا، نثرا أو شعرا، حوارا أو مونولوجا، ويمكن أن يكون أيّ شيء، من مثل واحد إلى مسرحية بكاملها، ومن نداء استغاثة إلى مناقشة أمام هيئة طوال اليوم.

النص هو وحدة لغوية في الاستعمال، وليس وحدة نحوية كالعبارة أو الجملة ولا يُحدَّد بمدى حجمه. ويُنظر إليه أحيانا على أنه نوع يمثل ما فوق الجملة، أي وحدة نحوية أوسع من الجملة، لكنها ترتبط بالجملة بطريقة تماثل طريقة ارتباط الجملة بالعبارة والعبارة بالمجموعة وهكذا، فمن حيث **التكوين**: تركيب وحدات كبرى من وحدات صغرى، غير أن هذه الفكرة مضلّلة. فالنص ليس شيئا يشبه الجملة غير أنه أكبر بل هو شيء يختلف عنها من حيث النوع.

ويُستحسن النظر إلى النص على أنّه وحدة **دلالية**: وحدة لا من حيث الشّكل بل من حيث المعنى، فهو يتّصل بالعبارة أو الجملة لا من حيث الحجم بل من حيث **التّحقيق** (realization) أي تشفير نظام رمزي في آخر.

لا يتكوّن النص من جمل بل **يتحقّق بواسطتها**، أو مُشفر فيها، وإذا فهمناه بهذه الطريقة فلا نتوقّع وجود النّوع نفسه من الاندماج البنوي بين أجزاء النص كما نجده بين أجزاء الجملة أو العبارة، فوحدة النص هي وحدة من نوع مختلف.

2.1.1 النسيج النصي

يُعتبر مفهوم **النّسيج** (texture) مفهوما ملائما بصفة عامة للتعبير عن خاصية «وجود النص». للنص نسيج وهذا ما يميّزه عن اللانص، ويستخلصه من وظيفته كوحدة مع أخذ محيطه بعين الاعتبار.

وفي هذا الكتاب نبحث في وسائل اللغة الإنجليزية التي تخلق النسيج. إذا اعتبرنا أي مقطع من الإنجليزية، وهو يضم أكثر من جملة واحدة، نصا

فلا بد من توفّره على معالم لغوية يمكن اعتبارها مساهمة في تحقيق وحدته الشاملة وإعطائه النسيج.

لنبدأ بمثال بسيط وعادي، نفترض وجود التعليمات التالية في كتاب الطبخ:

[1 :1]

Wash and core six cooking apples. Put them into a fire proof dish

اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضعها في صحن يقاوم النار

من الواضح أن them في الجملة الثانية تعود على التفاحات الست المذكورة في الجملة الأولى. إن الوظيفة **العائدية** (anaphoric function) لـ them تحقّق اتّساق الجملتين، وبذلك تُؤوّلان ككلّ موحّد وتكوّنان معا نصا أو بالأحرى جزءا من النص نفسه وقد يتبع بأجزاء أخرى.

فالنسيج ناتج عن **العلاقة** الاتّساقية بين them وsix cooking apples ، ومن المهم التركيز على هذه النقطة بالذات لأننا سنلفت الانتباه باستمرار لعناصر مثل them التي تعود بصفة نموذجية على شيء سبق ذكره. إلا أن الاتساق (cohesion) يتحقق بوجود كل من العنصر المُحيل والعنصر المحيل عليه (referent) وليس بوجود أحدهما فحسب. وبعبارة أخرى لا يكفي وجود الافتراض (presuppostion) وحده بل لا بد أن يستجاب له. وهذا ما يفسّر الأثر الفكاهي الذي أحدثه الممثّل الكوميدي في المذياع حين استهل عرضه بالجملة التالية :

[2:1]

So we pushed him under the other one

بالتالي دفعناه نحو الآخر

في هذه الجملة افتراضات كثيرة وهي موجودة في الكلمات so، him ، other one ولا يمكن معرفتها لأنها واردة في جملة افتتاحية.

ما **معنى** العلاقة الاتساقية بين them و six cooking apples ؟ إنهما يُحيلان على الشيء نفسه، فهما **مشتركان في الإحالة** (coreferential)، إن عملية الاتساق في

هذه الحالة باعتبارها محقّقة للنسيج تمثل قابلية الاشتراك في الإحالة بين them و six cooking apples، وعلامتها (أو يعبّر عنها من خلال) وجود العنصر العائد احتمالا them في الجملة الثانية والعنصر المحتمل six cooking apples في الجملة الأولى.

لا يُعتبر تطابق الإحالة العلاقة المعنوية الوحيدة التي تساهم في النسيج، بل توجد علاقات أخرى، كما أن استعمال الضمير لا يعتبر الطريقة الوحيدة للتعبير عنها، يمكن أن يكون لدينا:

[1: 3]

Wash and core six cooking apples. Put the apples into a fire proof dish

اغسل وانزع نوى ست تفاحات للطبخ، ضع التفاحات في صحن يقاوم النار

يقوم العنصر the apples بوظيفة اتساقية وذلك من خلال تكرار كلمة apples مسبوقة بـ the كعلامة عائدية. فمن بين وظائف أداة التعريف (definite article) الإشارة إلى وجود تطابق إحالي مع شيء سابق (تعتبر أحيانا وظيفتها الوحيدة، لذلك ينبغي أن نشير إلى وجود وظائف أخرى ليست اتساقية على الإطلاق. ففي المثالين (أ) و(ب) أدناه لا وجود لمعنى عائدي:

[1: 4]

a-None but the brave deserves the fair لا أحد يستحق الحسناء سوى الشجاع

b-The pain in my head can not stiffle the pain in my heart

الألم في رأسي لا يمكنه أن يسكن الألم في قلبي

فيما يتعلق بمعنى the انظر 2.4.2 أسفله).

3.1.1 الروابط

نحتاج إلى مصطلح للتّعبير عن حالة واحدة في الاتساق، مصطلح يسمح بظهور زوج من العناصر المرتبطة بطريقة اتساقية، وهذا ما سنُسمّيه **الرابط** (tie)، فالعلاقة بين them وsix cooking apples في المثال [1:1] تشكّل رابطا.

يمكننا أن نحدّد خصائص مقطع من نص ما من خلال عدد روابطه وأنواعها. ففي المثال [1:1] يوجد رابط واحد فقط وهو من نوع خاص سنطلق عليه اسم **الإحالة**

(الفصل2). ويوجد فعلا رابطان في المثال [3:1]، أحدهما من نوع "الإحالة" ويتمثل في العلاقة العائدية بين them وsix cooking apples، أما الآخر فهو من نوع مختلف ويتمثّل في **تكرار** كلمة apples، ويحتفظ هذا التكرار بالأثر الاتساقي حتى وإن لم تكن الكلمتان تُحيلان على التّفاحات نفسها، وسيُناقش هذا النوع من الاتساق في الفصل السادس.

يمكّن مفهوم الرابط من تحليل النص من خلال خصائصه الاتساقية ويقدّم تحليلا نظاميا لأنماط النسيج، ويوجد في الفصل الثامن تحليل لبعض النماذج. يمكن دراسة أنواع كثيرة بهذه الطريقة كالفرق بين المنطوق والمكتوب والعلاقة بين الاتساق وتنظيم نصوص مكوّنة من جمل وفقرات والفروق الممكنة بين أنواع مختلفة ومؤلفين مختلفين من حيث عدد ونوع الروابط التي يستعملونها على نحو نموذجي.

تشكّل الأنواع المختلفة للاتساق الفصول الأساسية لهذا الكتاب، وهي: الإحالة، الاستبدال (substitution)، الحذف (ellipsis)، الوصل (conjunction) والاتساق المعجمي (lexical cohesion)، ويوجد تعريف أوّلي لهذه الأقسام في المقدمة (4.2.1)، وسيُناقش كل مفهوم بالتّفصيل في فصل خاص.

4.1.1 الاتساق

إن مفهوم الاتساق مفهوم دلالي، ويقصد به العلاقات المعنوية الموجودة داخل النص والتي تعرّفه كنص.

يظهر الاتساق حين يعتمد **تأويل** (interpretation) عنصر ما في الخطاب على تأويل عنصر آخر إذ **يفترض** كل منهما الآخر، بحيث لا يمكن فعلا فهم الثاني إلا بالرجوع إلى الأول، وحين يحدث هذا تتأسّس علاقة اتساق، ومن ثم يُدمج العنصران المفترِض والمفترَض في النص احتمالا على الأقل.

وهذه طريقة جديدة لتوضيح مفهوم الرابط. فبالرجوع إلى المثال [1:1]، تفترض كلمة them شيئا آخر لتفسيرها ويتمثّل في six cooking apples الواردة في الجملة

السابقة، هذا الافتراض وتعيينه يحقق اتساق الجملتين وبهذه الطريقة ينتج النص. لنتمعّن الدعابة المعروفة لتلميذ كمثال:

[1: 5]

Time flies الوقت يطير

- You can't; they fly too quickly -لا تستطيع، هي تطير بسرعة فائقة

الوقت يطير (time flies)، بمعنى الوقت ينقضي، وtime flies تعني في الوقت نفسه، في اللغة الإنجليزية، احسب سرعة الذباب.

لا تُظهر الجملة الأولى أية إشارة على عدم كونها نصا كاملا، وهي تمثّل نصا في غالب الأحيان، وتكمن الفكاهة في سوء الفهم المطلوب حين يُستجاب للافتراض من الجملة الثانية. ويُعبّر عن الاتساق هنا من خلال روابط لا يقل عددها عن ثلاثة : صيغة الحذف You can't (الفصل 4)، العنصر الإحالي they (الفصل 2) والتكرار المعجمي fly (الفصل 6).

الاتساق هو جزء من النظام اللغوي، ويُحتمل وجوده في الوسائل النظامية للإحالة والحذف... إلخ الموجودة في اللغة ذاتها، غير أن تحقيق الاتساق في أية حالة لا يعتمد على اختيار معيّن ضمن هذه الوسائل فحسب بل على وجود عنصر آخر يُعيّن الافتراض الذي يُقيمه هذا العنصر. من الواضح أن اختيار كلمة apples ليس له أية قوة اتساقية في حد ذاته، إذ تقام علاقة اتساقية فقط عند ظهور هذه الكلمة مسبقا أو كلمة مرتبطة بها كـ fruit (انظر الفصل6). يبدو صحيحا أيضا وبوضوح أقل أن كلمة them ليس لها أية قوّة اتساقية إلا إذا وجد لها محيل عليه ظاهر، ويكمن الاتساق في كلتا الحالتين في العلاقة القائمة بين الاثنين.

يبدو الاتساق كباقي العلاقات الدلالية من خلال تنظيم لغوي ذي مستويات. ويمكن شرح اللغة على أنها نظام متعدد الشّفرات يضم ثلاثة مستويات من الشّفرات أو "المستويات": المستوى الدلالي (المعاني)، المستوى المعجمي -النحوي (الأشكال)، المستوى الفونولوجي والإملائي (التعابير).

تتحقّق المعاني (تُشفر) كأشكال والأشكال تتحقق بدورها (تُشفر ثانية) كتعابير. وباستعمال المصطلحات اليومية، يُنقل المعنى إلى تعبير والتعبير إلى صوت أو كتابة.

المعنى ← (النظام الدلالي)
التعبير ← (النظام المعجمي النحوي، النحو والمفردات)
'الصوت' /الكتابة (النظام الفونولوجي والنظام الإملائي)

يدلّ المصطلح الشائع «تعبير» على الشّكل المعجمي النحوي أي اختيار الكلمات والبنى النحوية. وفي هذه الطبقة لا يوجد فصل صارم بين المفردات والنحو. وحسب القاعدة المتّبعة في اللغة، يُعبّر عن المعاني الأكثر عموما من خلال النحو وعن المعاني الأكثر دقة من خلال المفردات. وتنطبق العلاقات الاتساقية على النمط العام ذاته حيث يعبّر عن الاتساق من جهة من خلال النحو ومن جهة أخرى من خلال المفردات.

وعليه يمكن الإشارة إلى وجود **اتساق نحوي واتساق معجمي**، ففي المثال [1: 3] يوجد رابط نحوي (الإحالة المعبّر عنها بواسطة the) ورابط معجمي (تكرار apples).

إن أنواع الاتساق الواردة في الفصل الثاني والثالث والرابع (الإحالة والاستبدال والحذف) نحوية، والنوع الوارد في الفصل السادس معجمي، أما الذي في الفصل الخامس (الوصل) فهو يتوسّط النّوعين، فهو نحوي بصفة رئيسية ولكنه يحتوي على مكوّن معجمي. ويتم التّمييز بين الاتساق النحوي والاتساق المعجمي في حقيقة الأمر بدرجة واحدة فقط ولا حاجة للتركيز عليه في هذا المقام. من المهم التأكيد على أنه حين نتحدث عن الاتساق سواء أكان "نحويا أو معجميا" فلا يجب أن نفترض أنه علاقة شكلية محضة لا دخل للمعنى فيها. الاتساق علاقة دلالية ولكنه يتحقّق من خلال النظام المعجمي النحوي كباقي مكوّنات النظام الدلالي، ويمكن التمييز في هذه

النقطة بالذات حيث تتحقّق بعض أشكال الاتساق من خلال النحو وبعضها الآخر من خلال المفردات.

يمكننا أن نُضيف بين قوسين أن بعض أنواع الاتساق النحوي يُعبّر عنها بدورها في الإنجليزية المنطوقة من خلال نظام التنغيم (intonation system) وعلى سبيل المثال:

[6 :1]

Did I hurt your feeling ? I didn't mean to

هل جرحت مشاعرك؟ لم أقصد أن

لا تتّسق الجملة الثانية بواسطة الحذف فحسب في I didn't mean to وتقديره hurt your feeling، بل بواسطة الربط أيضا، أي المعنى المخالف « but » (لكن) المعبّر عنه من خلال النغمة (tone)، ويتّم هذا من الناحية الفونولوجية على النحو التالي:

//2.Did I/ hurt your/ FEELING// 4 ^ I/ didn't/ mean/ to//

ففي الجملة الثانية، توجد نبرة صاعدة هابطة 4 (rising-falling tone). ولتوضيح نظام التنغيم، انظر الفقرة 4.5 والإحالات الواردة هناك.

2.1 الاتساق والبنية اللغوية

1.2.1 النسيج والبنية

النص كما ذكرنا ليس وحدة بنوية (structural unit)، والاتساق بالمعنى الذي نستعمله ليس علاقة بنوية. مهما تكن العلاقة بين أجزاء النص –الجمل أو الفقرات أو الأدوار في حوار ما -فهي ليست مثل البنية بالمعنى المستعمل، بل هي العلاقة التي تربط بين أجزاء الجملة أو العبارة.

البنية هي علاقة موحّدة بالطبع حيث « تتّسق» أجزاء الجملة أو العبارة فيما بينها بوضوح وتُظهر النسيج. تحتوي عناصر البنية، كتعريف لها، على وحدة داخلية تجعلها تمثّل جزءا من النص. ولا يمكن لأحد أن يغيّر النص عند منتصف جملة إذا

صح القول، أو بالأحرى إذا قام أحد بذلك فسيحدث كسر في البنية نظرا لإقحام شيء لا يمثّل من الناحية البنوية جزءا من الجملة ذاتها، كما هو الحال في "*هاملیت*".

[7 :1]

Then I will come to my mother by and by- they fool me to the top of my bent-

I will come by and by.

إذن سآتي إلى أمي قريبا -يعبثون بي إلى أقصى قدرتي على الاحتمال – سآتي قريبا.

وفي شكل محادثة :

[8 :1]

… But what I want to know is-yes, some ice, please-what this government thinks they're doing when they spend all that money on building new schools. What's wrong with the old ones?

... لكن ما أود معرفته هو -نعم، بعض الثلج، من فضلك -ماذا تعتقد هذه الحكومة أنها تفعل حين تصرف كل تلك الأموال في بناء مدارس جديدة، ما هو عيب القديمة؟

وبشكل عام، تتماسك الوحدات المبنية لتشكّل نصا. تُعتبر جميع الوحدات النحوية، الجمل، العبارات، المجموعات والكلمات متّسقة لأنها ببساطة ذات بنية وينطبق الشيء نفسه على الوحدات الفونولوجية (phonological units)، المجموعة النغمية (tone group)، التّفعيلة (foot) المقطع الهجائي (syllable). فالبنية إذن هي وسيلة للتّعبير عن النسيج.

إذا تكوّن كل نص من جملة واحدة فقط فلا حاجة لنا لتجاوز نوع البنية لتفسير اتساقية النص الداخلية: إذ يمكن تفسير هذا ببساطة كوظيفة لبنيته. لكن النصوص لا تنحصر عادة في جملة واحدة وإذا وجدت فهي نادرة وتتمثّل في الإعلانات، الأمثال والحكم، الشّعارات الإشهارية إلخ بحيث تضم الجملة الواحدة في حد ذاتها نصا كاملا، كما هو الحال في المثال التالي :

[9 :1]

أ ممنوع التدخين No smoking

ب العجائب لا تنقطع Wonders never cease !

جـ اقرأ *الهرالد* كل يوم Read the Herald every day

لكن معظم النصوص تتجاوز الجملة الواحدة.

وبعبارة أخرى يتجاوز النص بصفة عامة سلسلة العلاقات البنوية لأنها مُدركة بصفة طبيعية، لكن النصوص تتّسق، وهكذا يعتمد الاتساق داخل النص –النسيج –على شيء آخر غير البنية. توجد بعض العلاقات المكوّنة للنص على وجه الخصوص لا يمكن تحليلها من حيث البنية المكوّنة، وتعتبر خصائص النص في حد ذاته لا خصائص أية وحدة بنوية كالعبارة أو الجملة. إن استعمالنا لكلمة **اتساق** يدل بصفة خاصة على هذه العلاقات غير البنوية المكوّنة للنص وهي كما اقترحنا علاقات دلالية والنص هو وحدة دلالية.

2.2.1 الاتساق داخل الجملة ؟

يمكن أن توجد العلاقات الاتساقية داخل الجملة وما بين الجمل أيضا لأنها غير متعلقة بالبنية، وهي ذات أهمية أقل حين توجد داخل الجملة نظرا لوجود القوة الاتساقية في البنية النحوية.

لا تحتاج الجملة للاتساق كي تكون متماسكة لأنها متماسكة مسبقا. ومع ذلك فالعلاقات الاتساقية هي نفسها، مثال:

[10 :1]

If you happen to meet the admiral, don't tell him his ship's gone down.

إذا حدث وقابلتَ الأميرال لا تخبره أن سفينته غرقت.

يتم التّعرف على him وhis، في النصف الثاني، بواسطة الإحالة على Admiral كما هو الحال إذا ما وجدت جملة تفصل بينهما، والشيء نفسه في المثال التالي:

[11 :1]

Mary promised to send a picture of the children, but she hasn't done.

وعدَت ماري أن ترسل صورة للأطفال، لكنها لم تفعل

تُعادِل done هنا sent a picture of the children ولا صلة لها بهذا سواء أكانا في جملة واحدة أو لا.

لا صلة للعلاقات الاتساقية مبدئيا بحدود الجملة. الاتساق علاقة دلالية بين عنصر في النص وعنصر آخر يُعتبر ضروريا لتأويله إذ لا بد من وجوده داخل النص – انظر 4.2.1 أسفله -غير أن موقعه في النص لا يحدّد إطلاقا بالبنية النحوية. فالعنصران المفترِض والمفترَض قد يرتبطان ببعضهما البعض أو لا يرتبطان من حيث البنية وهذا لا يؤثر على معنى العلاقة الاتساقية.

تُعتبر الجملة وحدة هامة لتحقيق الاتساق لأنها أعلى وحدة للبنية النحوية على وجه الخصوص تقوم بتحديد طريقة **التعبير** عن الاتساق. فعلى سبيل المثال، إذا تمت الإحالة على وحدة معيّنة مرتين داخل الجملة الواحدة فلا بد من وجود قواعد تحدّد كيفية صياغتها وتتمثّل في قواعد التضمير (pronominalization)، فبنية الجملة هي التي تحدّد إلى حد ما إعادة تسمية الوحدة عند الإشارة إليها مرة ثانية أو الإحالة إليها بواسطة الضمير، وكمثال لا يمكننا القول :

[12 :1]

John took John's hat off and hung John's hat on a peg.

نزع جون قبعة جون وعلّق قبعة جون على مِشجب

لنفترض وجود جون (John) واحد وقبعة واحدة (hat) فقط، لا بد إذن من التّعبير عن تطابق الإحالة هذه باستعمال الضمائر.

John took his hat off and hung it on a peg.

نزع جون قبعته وعلّقها على مِشجب

يُمكننا أن نشرح هذا بالرجوع إلى بنية الجملة، ويُمكننا تفسير العلاقة بين عنصر ما وعنصر آخر يفترضه بأنها علاقة بنوية. وفي الجملة السابقة مثلا، تفترض

كل من الكلمتين one و it بطرق مختلفة عنصرا معيّنا ويمكن دمج هذا الافتراض في بنية الجملة.

غير أن هذا قد يكون مضلّلا، يُمكن دراسة حالات محدودة من الاتساق من الناحية البنوية يكون فيها العنصران المفترِض والمفترَض في جملة واحدة، غير أن انتماءهما إلى الجملة نفسها، كما رأينا، هو أمر لا يتعلّق بطبيعة العلاقة الاتساقية. الاتساق بصفة عامة هو مفهوم يتجاوز اعتبارات البنية، إضافة إلى أن مثل هذه القواعد تتحكّم في أنواع محدودة من العلاقة الاتساقية خاصة تلك التي تتطلب تطابق الإحالة، حيث لا بد من الإشارة إليها بواسطة العنصر الإحالي عند توفره على شروط معيّنة (الفصل 2). لا يتأثّر الاتساق، المعبّر عنه بواسطة الاستبدال والحذف(الفصل 3 و4) والاتساق المعجمي، (الفصل 6) ببنية الجملة. وفي حالة الوصل(الفصل 5) توجد أشكال خاصة للتعبير عن علاقات الربط المتعدّدة حيث تكون مرتبطة بالبنية النحوية. لنقارن المثال [13:1 أ] وهو غير بنوي بنظيره البنوي [13:1ب] :

[13:1]

أ - إنها تمطر، إذن لنبق في البيت .It's raining.- Then let's stay at home

ب - بما أنها تمطر، لنبقى في البيت .Since it's raining, let's stay at home

إن العلاقة الدلالية المحقّقة للاتساق، أي العلاقة السّببية بغض النظر عن وجود أو غياب الرابط البنوي هي ذاتها في كلا المثالين.

لهذه الأسباب، لا يُنظر إلى الاتساق داخل الجملة على أنه ظاهرة مميّزة أساسا. الاتساق هو علاقة أو مجموعة علاقات عامة مكوّنة للنص، يتعرّض بعضها لقيود حين يندمج في بنية الجملة لأن الشرط النحوي "لوجود الجملة" يضمن بلا شك انسجام أجزاء النص لتكوّن نصا بأية حال. لكن العلاقات الاتساقية هي ذاتها سواء أكانت عناصرها في جملة واحدة أو لا.

وكقاعدة عامة، ستكون أمثلة الاتساق الواردة في هذا الكتاب على مستوى حدود الجملة حيث يكون الأثر أكثر قوة والمعنى أكثر وضوحا: تظهر روابط الاتساق

بوضوح أكثر بين الجمل لأنها المصدر الوحيد للنسيج، أما داخل الجملة فتوجد إضافة إلى ذلك علاقات بنوية. عند وصف نص ما، تظهر أهمية الاتساق ما بين الجمل لأن ذلك يمثّل الجانب المتغيّر للاتساق الذي يميّز نصا عن آخر، غير أن هذا لا يُخفي أن الاتساق بصريح العبارة ليس «علاقة ما فوق الجملة» بل هو ببساطة علاقة لا ترتبط بالجملة أو بأي شكل من بنية نحوية.

3.2.1 الاتساق وبنية الخطاب

سيتضح من خلال ما سبق ذكره أن الاتساق ليس مجرّد اسم آخر لبنية الخطاب (discourse structure). إن بنية الخطاب كما تدلّ التسمية هي نوع من البنية، ويُستعمل هذا المصطلح للدّلالة على بنية وحدة معيّنة، أعلى من الجملة كالفقرة أو أكبر منها كحدث مترابط أو وحدة موضوعية.

وُضع مفهوم الاتساق لتفسير العلاقات الموجودة في الخطاب، لكن بطريقة مختلفة إلى حد ما، دون اعتبار وجود وحدة بنوية هي ما فوق الجملة. فهو يشير إلى مجموعة من الإمكانيات المتوفّرة لربط شيء بما سبقه، ويتم هذا الرّبط من خلال علاقات **معنوية** (لا نضع في الحسبان آثار العناصر الشكلية كالموازاة النحوية (syntactic parallelism) وعلم العروض (metre) والقافية (rhyme) لكن ما يهمّنا هو العلاقات المعنوية التي تعمل بهذه الطريقة: أي الوسائل الدّلالية الموضوعة لإنتاج النص. الجملة كما أكّدنا على ذلك هي الذات المحورية هنا وكل ما يوضع بداخلها هو بطبيعة الحال جزء من النص. يمكننا أن نفسّر الاتساق من الناحية العملية بأنه مجموع الوسائل الدلالية لربط جملة ما بما سبقها.

لا نقصد بهذا أننا نستثني إمكانية تأسيس بُنى الخطاب وتحديد بنية بعض الذّوات كالفقرة أو الوحدة الموضوعية، إذ يبدو بوضوح وجود بنية هنا على الأقل في بعض أنواع أو مستويات الخطاب، لكن لسنا متأكّدين من إمكانية إظهار علاقات بنوية معمّمة تحقّق فيها الجمل وظائف في بعض الوحدات الأعلى كما هو الحال بالنسبة لجميع الوحدات ما دون الجملة. إن طبيعة العلاقة التي تضم جملا بعضها إلى

بعض تختلف عن تلك التي تكون في جزء أو بين أجزاء فرعية من الجملة. لا يمكننا أن نبيّن، على سبيل المثال، وجود أية علاقة وظيفية بين جملتي المثال [1:1] أعلاه، حيث تُشكّل الجملتان صورة الأدوار البنوية المحدّدة بالتبادل. (يمكننا من جهة أخرى أن نبيّن شيئا من هذا النوع بالتحديد عن طريق الاستعانة بمفهوم الاتساق (أنظر الفصل 5). ويمكننا أن نحدّد عددا من البنى الممكنة داخل الجملة، أو في أية وحدة مماثلة، كأنواع التعديل (modification) أو الرّبط (connection)، التعدية (transitivity) أو البُنى التي تحتوي على الموجّهات (modal structures) إلخ، والتي تحدّد العلاقات بين الأجزاء، في حين لا يمكننا إحصاء مجموع البنى الممكنة للنص بالطريقة ذاتها في أصناف الجمل للقيام بالأدوار البنوية. وسنُبيّن عوضا عن ذلك كيفية ربط جمل مستقلة عن بعضها البعض من حيث البنية وذلك من خلال علامات خاصة لتأويلها، لهذا يُعتبر مفهوم الاتساق مطلوبا.

4.2.1 الاتساق كعلاقة دلالية

إن القول باتساق جملتين نظرا لوجود علاقات بين معانيهما لا يعتبر دقيقا في حد ذاته. قد يبدو من الناحية العملية وجود علاقة بين جملتين من حيث المعنى، كما أننا نلجأ حتما إلى إحساسنا بمدى ارتباط الجمل فيما بينها فعليا من حيث المعنى للحكم فيما إذا كان هناك نسيج أولا.

لا يمكننا أن نوضّح بصفة أكثر درجة العلائقية اللازمة أو كيفية تقديرها.

ولكن يوجد نوع خاص من العلاقات المعنوية وهي ضرورية لإنتاج النسيج: حيث يتم **تأويل عنصر ما عن طريق الإحالة على عنصر آخر**. يتعلق الأمر بالاتساق من حيث طريقة تأويل العناصر، فكلما تطلّب تأويل عنصر ما في الخطاب الإحالة على عنصر آخر موجود في الخطاب وجد هناك اتساق. لنتأمّل المثال التالي:

[14:1]

He said so	هذا ما قاله

تُعتبر هذه الجملة معقولة، كما هي واردة، إذ نعرف معناها ويمكننا فهمها من الناحية الدلالية، ولكنها **غير قابلة للتأويل** لأننا لا نعلم من هو « he » أو لا نعلم ما قاله. لذلك علينا الرجوع إلى مكان آخر وهو السياق (context)، أي ما سبق ذكره. وينطبق هذا أيضا على الجملة التالية:

[15:1] جون قال كل شيء John said everything

حيث لا نعلم من هو John أو لا نعلم ما قاله. لكن هناك فرق كبير بين المثالين [14:1] و[15:1]. ففي المثال [14:1]، يحمل العنصران he وso في معانيهما إشارة واضحة إلى أن وسائل تأويلهما موجودة في مكان ما في المحيط. فعند قراءة هذه الجملة أو سماعها نعلم أنها ترتبط بمقطع آخر يُبين من هو he وما الذي قاله، ولا ينطبق هذا القول على John أو everything فكلاهما لا يفترض بالضرورة وجود أي مصدر لتأويل إضافي.

ونحن الآن بصدد الجزء الأكثر تعقيدا، فمن السهل جدا أن نُبيّن أن he وso متّسقان لكن لا توجد أية وسيلة لتأويلهما مكتفين بهما. وسرعان ما ندرك الحاجة إلى إيجاد تأويل من مكان آخر من خلال أسئلة تُطرح مباشرة : من قال هذا؟، ماذا قال؟ ولنفس السبب يمكننا أن ندرك الأثر الاتساقي لجملة مثل:

[16:1] الاستلقاء على الأرض Lying on the floor

(يُقصد بـ Lying on the floor "مستلقيا على الأرض" في المثال [17:1] و"الاستلقاء على الأرض" في المثال [18:1].)

حيث لا توجد هنا أية إشارة لوجود الافتراض في كلمات مثل he أو so. يظهر الاتساق من خلال ما لم يتم ذكره، ويمكننا طرح السؤال من جديد who is? (من؟)، نلاحظ وجود بعض اللّبس (ambiguity) فيما يخص المعلومات المتلقّاة، وقد يكون النص كالتالي :

[17:1]

What was John doing when you came in ? ماذا كان جون يفعل حين أتيتَ؟

Lying on the floor. مستلقيا على الأرض

حيث يُفسّر Lying بـ was lying (كان مستلقيا) وليس بـ is lying (مستلق الآن). وتوجد احتمالات أخرى مثل :

[18:1]

What is your favorite pastime ? ما هي هوايتك المفضلة؟

Lying on the floor. الاستلقاء على الأرض

وهذا ما يبيّن أن الاتساق مفهوم علائقي، لا يكمن في وجود فئة خاصة من العناصر الاتساقية بل هو العلاقة بين عنصر وآخر.

ويظهر هذا بوضوح أكثر في نوع آخر من الاتساق وقد يصعب شرحه في غيره. ذكرنا فيما يخص المثال [15:1] أنه لا وجود لأي افتراض خاص بالعنصر John، فالجملة John said everything لا تسمح بالسؤال عن تأويل John، كما هو الحال في He said everything فيما يخص he. لكن قد تكون لدينا متوالية مثل :

[19:1]

I was introduced to them; it was John Leathwall and his wife. I had never met John before, but I had heard a lot about him and had some idea what to expect.

عرّفوني إليهم، كانا جون ليثوال وزوجته. لم أقابل جون من قبل أبدا ، ولكنني سمعت عنه الكثير ولدي فكرة عنه.

يقوم *John هنا* بوظيفة اتساقية لأنه مكرّر، وهذا الشكل من الاتساق هو معجمي (الفصل 6)، ويتمثّل في اختيار العنصر المعجمي نفسه مرّتين أو اختيار عنصرين معجميين مرتبطين فيما بينهما ارتباطا وثيقا. قد يكون لهاتين الحالتين نفس المحيل عليه وقد لا يكون، لكن تأويل الثاني يتم بطريقة ما عن طريق الإحالة على تأويل الأول. قارن بما قيل عن المثال [3:1] أعلاه، وهذا مثال آخر :

[20:1]

Jan sat down to rest at the foot of a huge beech-tree. Now he was so tired that he soon fell asleep; and a leaf fell on him, and then

another, and then another, and before long he was covered all over with leaves, yellow, golden and brown.

جلس جين ليستريح تحت ظل شجرة الزان الكبيرة، كان في تلك اللحظة متعبا جدا وسرعان ما نام، وسقطت عليه ورقة فأخرى وسرعان ما أصبح مغطى كلية بأوراق صفراء، ذهبية وبنية.

ترتبط a leaf (ورقة) بـ beech-tree (شجرة الزان)، ويبدو بوضوح أن العنصرين غير مشتركان في الإحالة، نعلم أن الورقة هي ورقة شجرة الزان، وإذا كانت تتمة الجملة على الشكل التالي:

Before long he was covered all over with oak-leaves

سرعان ما أصبح مغطى كلية بأوراق السنديان

فإننا لا نتقبّلها لوجود خطأ فيها، وهذا ما يُظهر قوة الاتساق كما يُظهر أن الاتساق لا يعتمد على وجود العناصر العائدة بوضوح مثل he و so بل على إقامة علاقة دلالية قد تتّخذ أي شكل من الأشكال المتعددة.

وقد يتّخذ شكلا آخر وهو الربط بواسطة عناصر مثل but (لكن)، later on (فيما بعد)، in that case (في تلك الحالة) (الفصل 5)، وهنا يكمن الاتساق في علاقة مجردة بين افتراض وآخر. ويمكن أن يتعلق الأمر بمضمون الجمل وكيفية ارتباطها فيما بينها كظاهرة، وعلى سبيل المثال:

[21:1]

First, he took a piece of string and tied it carefully round the neck of the bottle. Next, he passed the other end over a branch and weighted it down with a stone.

أولا، أخذ قطعة من الحبل وربطها بعناية حول عنق الزجاجة، ثم مرّر الطرف الآخر على الغصن ووزنها بواسطة حجر.

أو بدورها في الخطاب، أي كيفية ارتباطها من منظور المتكلم أو الكاتب، مثال:

[22:1]

First, he has no experience of this kind of work. Next, he showed no sign of being willing to learn.

في البداية لم تكن لديه أية خبرة لهذا النوع من العمل، ثم لم يبد أي استعداد لرغبته في التعلّم.

تشير next إلى تتابع الحجة لا إلى متوالية من الأحداث في الزمن. والكثير من الكلمات والتراكيب المختلفة تظهر كعبارات الوصل لكنها جميعا تنصبّ في مجموعات قليلة تُمثّل أنواع العلاقة المنطقية بصفة عامة.

ومنه فإن مفهوم الاتساق يُبيّن العلاقات الدّلالية حيث يمكن لأي مقطع منطوق أو مكتوب أن يؤدي وظيفة النص. يُمكننا أن نصنّف هذا المفهوم في أقسام محدّدة ومميّزة، وهي: الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل والاتساق المعجمي، وهي أصناف قسّمت على أساس نظري لتمثّل **أنواعا** (types) مميّزة للعلاقة الاتساقية، ولكنها توّفر وسائل عملية لوصف النصوص وتحليلها. ويظهر كل صنف من هذه الأقسام في النص من خلال علامات معيّنة – التكرار، الحذف، ظهور بعض الكلمات والأبنية التي تشترك في خاصية تشير إلى أن تأويل المقطع موضوع الدراسة يستند إلى شيء آخر، وإذا كان هذا «الشيء الآخر» ظاهرا بالفعل وجد هناك اتساق. توجد طبعا أنواع أخرى للعلاقة الدلالية وهي مرتبطة بالنص ولا يحتويها مفهوم الاتساق، فالنوع الذي يحتويه هو الأكثر أهمية بما أنه موجود في كل نوع من النصوص وهو بالفعل ما يجعل النص نصا.